[155] ولقد كانت قالت له، حين أتته طالبة بحقها ومحتجة برهطها: من يرثك يا أبا بكر إذا مت ؟ قال: أهلي وولدي، قالت: فما بالنا لا نرث النبي صلى ا عليه وآله، فلما منعها ميراثها وبخسها حقها واعتل عليها وخلج في أمرها، وعاينت التهضم وأيست من النزوع ووجدت مس الضعف وقلة الناصر قالت وا لأدعون ا عليك، قال: وا لأدعون ا لك قالت: وا لا اكلمك أبدا، قال: وا لا أهجرك أبدا. فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلا على صواب منعه كان في ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلا على صواب طلبها، وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت وتذكيرها ما نسيت وصرفها عن الخطاء ورفع قدرها عن البذاء وأن تقول هجرا أو تجور عادلا أو تقطع واصلا، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعا، فقد تكافأت الأمور واستوت الأسباب، والرجوع الى أصل حكم ا في المواريث أولى بنا وبكم وأوجب علينا وعليكم. ثم قال: فإن قالوا كيف يظن بأبي بكر ظلمها والتعدي عليها، وكلما ازداد فاطمة عليها السلام عليه غلظة ازداد لها لينا ورقة، حيث تقول: وا لا اكلمك أبدا فيقول: وا لا أهجرك أبدا ثم تقول: وا لأدعون عليك، فيقول: وا لادعون ا لك. ثم يحتمل هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة، مع حاجة الخلافة الى البهاء والرفعة، وما يجب لها من التنويه والهيبة، ثم لم يمنعه ذلك أن قال متعذرا أو متقربا كلام المعظم لحقها المكبر لمقامها والصاين لوجهها والمتحنن عليها، ما أحد أعز علي منك فقرا ولا أحب إلي منك غنا، ولكن سمعت رسول ا صلى ا عليه وآله يقول: إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة. قيل لهم: أليس ذلك بدليل على البرائة من الظلم والسلامة من الجور (العمد - خ م) وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريبا وللخصومة معتاد أن يظهر كلام لمظلوم وذلة المنتصف وجدة [وحدب] الوامق المحق، إنتهى كلام الجاحظ (5) _____ (5) الشافي ج 1 ص 233 ط الحجري. (*) _____